

Geagea on the Palestinian case

عطفاً عالبوست السابق ("الله يساعد الفلسطينيين، بس ما فهمت عالحكيم كيف فلسطين قضيته الاولى وكيف بالإطار ممكن يطالب بالفدرالية يلي بتستلزم حياد؟")،

لأنني أعتقد بأن الموضوع بحاجة لعودة للتاريخ:

أوردنا أن جعجع قد قال: "وفي هذا الإطار لا يزايدن أحد على الآخرين، خصوصاً اليوم في ظل هذا الحضور من بيروت، بالقضية الفلسطينية، فهي القضية الأولى فيما يتعلق بنا جميعاً".

كلام جعجع جاء خلال كلمة مصورة في العشاء السنوي لمنسقية دائرة بيروت الثانية في "القوات"، في فندق "هيلتون"، يوم ٢٨-٠٧-٢٠٢٤.

لا أعرف إذا كان التوكيد مخففاً (يزايدن) أو ثقيلاً (يزايدن). لكن ما أعرفه هو التالي.

منذ ١٩٤٥ وكان كميل شمعون يدافع عن فلسطين، وعام ١٩٤٨ تعرّض لوعكة صحية وهو يدافع عن فلسطين في الأمم المتحدة. لكنه ربح لقب "فتى العروبة الأغر" و"سرق قلوب" الأكثرية المسلمة وانتخب رئيساً عام ١٩٥٢. ربما، وعلى الأرجح لا بل بالمبدأ، كان هذا من ضمن التكتيك السياسي ليكون رئيساً قوياً للجمهورية حتى يحمي فيها المسيحيين ضمن لعبة الصراع المسيحي - المسلم. ولكن عند ساعة الجد عام ١٩٥٨، وقف إلى جانب أمريكا وحلف بغداد فانفض المسلمون في ثورة ١٩٥٨.

وبعد انتهاء عهده أسس حزبه "حزب الوطنيين الأحرار" وجاء في البند الثاني: "يؤمن الحزب بانتماء لبنان العربي على أساس قبول العروبة قبولاً حراً وواعياً بوصفها قيمة حضارية وإطاراً للتطور والتعاون بين الدول العربية وشعوبها، بعيداً عن أي اعتبار آخر عرقياً كان أم دينياً أم أيديولوجياً". الميثاق نفسه لم يكن قد ذهب بهذا البعد وكان قد اعتبر أن لبنان "ذو وجه عربي" لا أكثر.

وقال لاحقاً شمعون في السعديات: "سنحرر فلسطين شبراً شبراً".

وقال الجميل: "إننا نقدّس العمل الفدائي... والقضية الفلسطينية أقدس قضية عندنا".

فلم يفهم المسلمون ردّات فعل الشارع المسيحي الذي بمتطوّعيه وليس بأحزابه أطلق التسليح والتدريب وبدأ بالحرب وجر أحزابه لاحقاً إليها، ولا العالم الخارجي فهم تلك الردّات. فكرر القادة المسيحيون اعترافهم بعروبة لبنان وبقدسية القضية الفلسطينية لهم، بيد أن الميثاق لم يذهب إلى هذا الحد، خارقين بذلك الميثاق بحد ذاته!

لم يدرك المسلمون الكم الهائل من التنازلات التي قام بها القادة المسيحيون عن لسان مجتمع مسيحي لا يشاطره الموقف، لا بل اعتقد المسلمون بأن اعتراف القادة المسيحيين بالعروبة هو وعي قومي عندهم! بهذا الجو، تلا الرئيس فرنجية خطاباً يوم ١٥ ت ١٩٧٤ في الأمم المتحدة مدافعاً عن فلسطين باسم مسلمي العالم وجميع العرب، في وقت كانت ميليشيته تستعد للدفاع عن شمال لبنان بوجه الجحافل الفلسطينية المصحوبة بالألوية السورية وبالمسلمين وباليسار اللبناني.

ولهذا عُرف المسيحيون بـ"الإنعزاليين"، لأن المسلمين افترضوا أنهم إنما يريدون أن ينزلوا، ولما حصل اللغط هذا لو صارح الزعماء المسيحيون المسلمين منذ البداية، ولما استغرب المسلمون عدم وجود المسيحيين معهم في الخندق العسكري لנاحية تحرير فلسطين ولا حتى في الخندق الوجداني، بل فقط في الخندق الإنساني.

هذا التكتيك من المزايدات والمغالاة لترطيب الأجواء ولتدوير الزوايا ولإطفاء فتيل الحرب لم ينجح، فلحقت الحرب بالزعماء الثلاث واضطروا للعودة إلى مربعاتهم عند ساعة الجد عام ١٩٧٥.

اليوم سمير جعجع يقوم بنفس الخطأ. فلسطين كانت ولا تزال لمسيحيي لبنان قضية إنسانية إسوةً بجميع المظلومين عالمياً، رغم الفظائع التي قام بها الفلسطينيون بحقهم في عقر دارهم؛ لكنها ليست قضيتهم الإثنية / القومية ولا الدينية، حيث يعتبر مسيحيو لبنان أنّ فلسطين وعاصمتها أورشليم (القدس للمسلمين) سقطت منهم مع الخليفة عمر بن الخطاب منذ ١٤٠٠ عام. فلا ناقة لهم ولا جمل إذا تم تهويدها بدل أسلمتها، على أن يستطيعوا أن يحجّوا إلى الأماكن المقدسة في كلتيّ الحالين، وهم منهمكون بتأمين حريتهم تجاه المحيط المسلم منذ حينها.

هذا ولا يعرف معظم مسيحيي لبنان تحديداً (وليس أي مسيحيين في العالم) أنّهم، وبكونهم إدارياً لبنانيين منذ ١٩٢٠ إنما إثنيًا / قوميًا أي سوسيلوجيًا كنعانيين (أي فينيقيين وفق التسمية الغربية) على الأرض التي اسمها لبنان منذ ٦٠٠٠ عام، خسروا "ما أصبح فلسطين لاحقاً" عام ١٣٠٠ ق.م. باستثناء أورشليم (التي سماها المسلمون القدس) التي خسروها عام ١٠٠٥ ق.م. وعكاً التي خسروها حوالي ٨٥٠ ق.م. لليهود / العبرانيين الملقّين بالـ"إسرائيليين".

إذن يعطي جعجع آمال خاطئة للمسلمين بأن همّة الأول، لا بل هم مسيحيي لبنان الأول، هو فلسطين. والعمل على هذا الأساس يستوجب التضحية بالكامل بأنفسنا على غرار الممانعة التي ينتقدها هي وقرار حربها جعجع نفسه. فهل خلافه مع الممانعة هو عملاني وليس جوهري؟ لا. فكيف التوفيق بين التصريح والخلاف الجوهري؟

نحن نبني على الجملة المصرّح بها وليس على نوايا المصرّح.

وكل تلك المغالاة بالحد الأدنى ستزيد من حزن ونفور المسلمين في لبنان واستغرابهم وتسأؤلهم لعدم رؤية المسيحيين في الخندق معهم أقله وجدانيًا تجاه قضية فلسطين رغم تصريح أحد زعمائهم الأساسيين، ناهيك عن تحالف زعيمين آخرين مع الممانعة. وسيستغربون أكثر فأكثر مطالبة الشارع المسيحي بالفدرالية أو بالتقسيم.

واستطراداً، كيف يستطيع جعجع أن يطالب بالفدرالية التي تستوجب الحياد، في ظل هذا الموقف؟

وإنّ لم يطالب بالفدرالية ولم يعمل لها، فلن يطالب بالتقسيم ولن يعمل له. وإبقاء اللبنانيين أجمعين مسيحيين ومسلمين في دائرة الصراع على الحكم المركزي الوحدوي مع يترتب من حروب وقتل ودمار وذل وقهر وفساد وتهجير هو مسؤولية تاريخية.